ملـــــف ثقافـــة الغـــــش

الغـــش..الاخطبـــــوط الـــذي مدّ اذرعه في كـــل مكـــان

اعد الملف : صافي الياسري

وهو ظاهرة لم يعرفها العراقيون من قبل بهذا الانتشار الواسع ، فما الذي حدا مما بدا ليصبح اخطبوطاً بهذا الشكل؟ اثناء كتابة هذا التقرير عادت الى الذاكرة صورة صفيحة سمن اشتريتها من علاوي جميلة في عهد النظام المباد ، وكانت يومها حصة الفرد العراقي من السمن في البطاقة التموينية لا تتجاوز ٢٥٠غراماً ، وبالتأكيد هي كمية غير كافية ، الامر الذي يضطرنا الى شراء السمن من الاسواق لسداد احتياجات المطبخ ،

وعند وصولي الى البيت بالصفيحة، تولت ربة البيت فتحها، وقد فؤجئت يومها بمحتوياتها، فقد كانت محشوة بالبطاطا المهروسة المتعفنة المرصوفة بعناية تحت طبقة خفيفة من السمن، والصفيحة مغطاة بغطاء محكم، لا يدع مجالاً لأن يتسرب الشك الى نفس مشتريها بأنها (بوري) كما اصطلح العراقيون على تسمية اساليب الغش في الميدان التجاري والاسواق، اما (البوريات) الصغيرة واليومية، فهي تلك التي نتلقاها من باعة سوق الخضروات والفواكه، فنحن ننظر الى البضاعة المعروضة، فتعجب بها وتشتهيها العين، فنفتح جيوبنا ونشتري، ونحمل الكيس الاسود الذي يستخدمه البائع (دائماً) ويملؤه بطريقة (اليد الخفيفة) السحرية، بحيث لا تدري ما الذي وضع فيه، ولا تبصر نوع البضاعة التي يحويها، وحين تصل الى البيت، املاً ان تتباهى بنوعية البضاعة التي اشتريت، تكتشف ان البائع قد وضع لك نوعية تزدريها النفس والعين، فهي تالفة، او مختلفة في اقل الاحوال عن البضاعة المعروضة، وبعضها لا يصلح كطعام، ولا تملك ان تفعل شيئاً، ومرة حاولت ان انبه البائع الى ان يضع في الكيس بعضاً من (النوعية) المعروضة امام العين، فغضب ووضع الكيس (الاسود) جانباً ورفض ان يبيع لي من بضاعته وهو يردد بصوت عال –هل تتهمني بالغش- انظر- ومن يومها لم اعد اجادل هؤلاء الباعة، ورضيت بما يضعون في كيسهم الاسود، الذي اختاروه بهذا اللون حتى لا يبصر المشتري ولا يرى ما يضعون له فيه.

وبعد التمهيد الشاق، وبدبلوماسية حميمة، لعبنا فيها على وتر النوايا الحسنة واثرنا حق الصحافة في المعرفة والوصول الى جذور المشكلات بقصد حلها، تمكنا من ان نسأل احد هؤلاء الباعة، عن سر هذا الغش واصرار باعة الخضروات والفواكه عليه، والكيس الاسود واجماع الباعة على استخدامه؟ وقد ظفرنا منه بجواب فيه الكثير من الجوانب الحقيقية.

يقول البائع (..)- بائع فواكه في سوق الملحاني في الكاظمية.

-ليس هناك من غش في عملنا، ولكننا لا نبيع البضاعة التي نشتريها كلها مرة واحدة، ويبقى منها الى اليوم الثاني والثالث جزء يتعرض لبعض التلف او تتغير نوعيته بعض الشيء، واذا لم نتمكن من بيعه، يذهب كل عملنا ادراج الرياح ونتعرض للخسارة، فنضطر الى خلطه بالبضاعة الجديدة وتمشيته بطريقة ما، او بوضع نسبة بسيطة منه مع كل (كيلو نبيعه)، واحياناً نشتري بضاعة ما من العلاوي او من الفلاح مباشرة حين نصل الى محلاتنا نكتشف انها ليست على ما يرام وربما كان جزء كبير منها بمواصفات غير مرغوب فيها من قبل المستهلك، فنضطر ايضاً الى ان ندقق في بضاعة جيدة ممتازة ونخلطها بتلك التي تعرضنا فيها (للغش) مرة اخرى اؤكد لك انه ليس في عملنا غش، ولو جربت وعرضت على البائع سعراً خاصاً على ان تنتقي البضاعة التي تريدها بنفسك فانه سيوافق حتماً بعد ان يحسب حسابات الربح والخسارة وذلك من حقه اليس كذلك –الغش الحقيقي هو ما يتخصص به تجار السوق الكبار، اما نحن –فمساكين-

-والكيس الاسود؟

❖ليس من سر، ولكنه الوحيد الذي اثبت انه (عملي) ونحن نستخدمه لمصلحة المشتري ذلك لانه لا يتمزق بسهولة مما يؤدي الى تناثر البضاعة اثناء حملها، الاكياس الاخرى مغشوشة، ابحث عن الغش الصناعي، وبصراحة اقول لك نحن نتوتر كثيراً حين نسمع هذه التهمة، ابحث بعيداً عنا، اذهب الى التجار الكبار في العلاوي والشورجة و..

انقطع نفسه وهو يسرع في ايقاع الكلمات متوتراً مشدوداً، فاثرت ان اودعه، ليودعني هو الآخر بكلمة مرة تلخص جوانب اجتماعية مهمة اضافة الى ما تؤشره من واقع الحال المرفوض..

-(اذا فلاحنا البريء اتعلم الغش متكلي شنسوي؟)

الغش في البطاقة التموينية ، حكاية قديمة

الغش الدولي ، واقتصاد الغش الذي يدور مليارات الدولارات ، وغش الازواج ، والغش السياسي ، وانواع لا تنتهي من الغش

الحديث عن الغش ، حديث ذو شجون ، فهو يتفرع كل تفرع ، ويمتد كل امتداد ، وهو فعلاً اشبه باخطبوط يمد اذرعه في كل مكان.

الغش في قطاع البناء

ثـــراء المقـــاولين تقابـــله مـــواد بمواصفـــات رديئـــة

سمعنا وقرأنا الكثير عن سقوط البنايات وانهيار العمارات في عدد من بلدان العالم، وبالأخص في مصر حيث نسمع باستمرار عن انهيار العديد من العمارات السكنية، وذهاب العشرات من الضحايا، وفقدان اخرين المأوى و(تحويشة العمر) (على حد تعبير الاخوة المصريين) التي دفعوها لشراء شقة في تلك العمارات التي لم تعمر، لكننا لم نواجه مثل هذه الحوادث في عراقنا، ولم نسمع ان مقاولينا تعلموا الغش او (استوردوه من بلاد بره)، على نطاق واسع، وانما هي احداث فردية وفي مدد زمنية متباعدة، ولكننا ايام الحصار الدولي الذي جره علينا النظام المباد، بدأنا نواجه ظواهر في حياتنا اليومية والعامة، شملت جميع الميادين، وما كانت بحسباننا، ومنها الغش في قطاع البناء، وبعض العراقيين لا يعرفون حتى اليوم ماهية هذا الغش وكيف يتم، وهذا دليل على عدم اصابة هياكلنا بالمرض الى الحد الخطر، مع اننا نؤكد ان المؤشرات تتجه نحو الاعلى، وانها لم تنخفض خلال العقدين الماضيين ولم تستقر حتى.

والغش في البناء، يرمي في الغالب الى اختصار تكاليف (المقاولة) التي عادة ما تكون بناء بيت او مشتمل او مجموعة محلات، او عمارة بعدة شقق وبمواصفات خاصة او اعتيادية، وهذا الاختصار يأتي او يتم عن طريق اختصار الوقت والايدي العاملة وكلفة مواد البناء والالات والاجهزة والمكائن المستخدمة واختصار الوقت، يتم باختصار سمك الجدارن، وسمك طبقة اللبخ، وعمق الاساس، والاقتصاد في المصروف على الايدي العاملة يتم باستخدام الايدي العاملة غير الماهرة ولساعات عمل اكثر، اما تقليل كلفة البناء فيتم باستخدام مواد مغشوشة، كالاسمنت المخلوط بالرمل بنسبة عالية، والطابوق غير المفخور بشكل جيد والذي لا يتكون طينه من نوعية جيدة، كالطين (الحري)، واستخدام الات مستهلكة لا تؤدي عملها بشكل جيد، كالخباطات التي يبقى ناتج عملها غير مكتمل وربما لا يصل الى نصف ماهر واجب لتشكيل النوعية المطلوبة من الخبطة.

المقاول –المهندس- رواء ناصر الدجيلي يقول، كل الذي ذكرته وارد يلجأ اليه بعض المقاولين لاختصار الكلفة، واقل ما يفعله هؤلاء هو تخفيض سمك طبقة اللبخ بالجص او السمنت، ويخلط بعضهم احياناً الجص (بالتراب الاحمر) والاسمنت (بالرمل) بنسب جائرة مما يؤثر في نوعية البناء وعمره وتحمله وهو عمل خطر اذا اكثر من اللجوء اليه في بناء العمارات التي لن تتحمل الضغط والحركة لمدة طويلة فتنهار، ويحدث الغش في الاغلب في المقاولات الحكومية التي يحصل عليها بعضهم عن طريق الرشوة أو المحسوبية، وهم من المقاولين غير المعروفين، فثمة مقاولون لهم اسماؤهم المحترمة وسمعتهم التي تمنعهم من أي تفريط بها حتى لو ارادوا، ذلك انهم يعرفون ان خسائرهم بالنتيجة ستكون فادحة، ولكن بعضهم الآخر وبسبب جهله او قلة خبرته يتعرض للخداع من قبل موردي مواد البناء واعني بهم اصحاب (السكلات) فبعض هؤلاء، لا يفكر في علاقة دائمة وسمعة محترمة، وزبائن، وانما ينحصر تفكيره في صفقة آنية يحقق منها اكبر قدر من الربح، ولهذا فهو يعتمد الغش في تعاملاته ظناً منه انه اقصر طريق للربح والاثراء السريع.

-وماذا تقول عن غش المقاولين في مقاولات اعمار العراق؟

❖ هذا باب خاص، وقد تورط بولوجه كثيرون، وفيه اعتبار مهم لم يبالوا به كثيراً، هو الاعتبار الوطني، ويمكنك ان تخرج منه بسيناريوهات مضحكة مبكية كثيرة لوقائع لا تخطر ببال، فقد قرأت على سبيل المثال ان مديرة مدرسة دخلت بناية مدرستها في برنامج اعادة الاعمار وحين انتهى اعمارها لم تجد شيئاً سوى صبغ بعض الجدران وبعضها بقي مهدماً، ولطش المقاول حتى مراوح الصفوف بحجة تصليحها ولم يعدها حتى الان، اما المرافق الصحية فهي غير صالحة للاستعمال بسبب انسدادها، وعدم اصلاحها وحتى لافتة المدرسة فقدت ولم تعوض، هذا غيض من فيض وليت (المدى) تفرد بحثاً خاصاً ويا حبذا لو كان موثقاً وبالاسماء الصريحة والعناوين لحالات الغش في ميدان اعادة اعمار العراق فقد انفقت اموال كثيرة فيه، ولكن الحاصل كان مخيباً للامال، فقد طالت يد "الحرامية" نسبة كبيرة جداً من تلك الاموال، وهي حق العراقيين واستحقاقهم.

صاحب سكلة لبيع المواد الانشائية في الكاظمية قرب كراج (السيد محمد)، وهناك اكثر من سكلة قال في معرض حديثه عن المواد الانشائية المغشوشة.

❖لا يوجد مقاول بناء ساذج الى حد انه لا يميز بين الاسمنت والجص المغشوشين وغير المغشوشين، واذا وجد مثل هذا (المقاول الغشيم) فان بقاءه في ميدان المقاولات لن يطول كثيراً، ومثل هؤلاء حتى اذا حصلوا على (مقاولات) عن طريق الرشوة او المحسوبية، يستعين اغلبهم بالخبراء، ومن لا يفعل ذلك يسقط في الامتحان، وقد يتعرض لخسائر لم تكن بحسبانه بسبب انكشاف امره، وقد تفرض عليه غرامات تقوده الى الافلاس، اما المقاولون الذين يعرفون المادة المغشوشة، فهم خبراء ايضاً في كيفية الغش، والافلات من رقابة المهندس المقيم وتقييم اللجان المختصة، فقليل من المادة المغشوشة يضيع حين تكون المواد المستخدمة كثيرة، ولكنه لا يضيع نهائياً، وانما ينكشف بعد مدة قد تطول (فيتقفع) الجص او الاسمنت من على الجدران ويتآكل من بين الطابوق، وينكشف (الاسمنت المسلح) حين يكون غير مسلح بالدرجة المطلوبة، فتنهار السقوف او تتشقق، وكذلك (الدنك)، اؤكد لك مرة اخرى، انهم (يعني المقاولين) يعرفون المادة التي يستخدمونها جيداً، ولكنهم يبحثون عن سعر اقل لتخفيض كلفة المقاولة، وتوسيع هامش الربح.

❖ ويضيف لنا المقاول –المهندس- رواء ناصر هناك ايضاً الغش في انشاء الملاجئ، فقد فرض النظام المباد على كل عمارة تزيد عن عدد محدد من الطوابق يزيد عن ينقص بحسب المزاج و(التوريق) ان ينشأ فيها ملجأ وهنا يأتي دور المقاول، فيقلص مساحته او عمقه، والطبقات الغير المستخدمة في بطانته واعداد شيش التسليح واللباد ذي النوعية الرديئة، فقد تعارفنا نحن المقاولون المخلصون في عملنا على استخدام لباد قيردار كمانع للرطوبة، ولكنهم راحوا يستخدمون انواعاً اخرى لم تجرب مثلما هو الامر مع لباد قيردار، لان السعر ارخص.

– وهل يقللون عدد شيش التسليح المستخدم في السقوف و(الدنك) ايضاً؟

❖نعم.. الغش لا يميز بين مكان واخر، والدافع له، يدفع الى ممارسته بشتى الاساليب والطرق وتقليص الكلفة يمتد حتى الى استخدام المهندسين المدنيين والمعماريين، فالمهندس المعروف بخبرته وكفاءته واسمه المتداول بين المقاولين لا يتعامل معه (الغشاشون) ويذهبون الى مهندسين غير معروفين او قليلي الخبرة لان اجورهم اقل.

وارجو ان تسجل لديك حتى اذا كان ذلك خارج موضوعنا ان داء الرشوة في دوائر الدولة اصاب حتى بعض المراكز الحساسة والمؤثرة، ولهذا نجد ان (الغشاشين) يتحركون بشيء من الثقة ويتمشدقون بذلك، ويقولون ان التوريق يمشي اعمالهم ويحميهم، هذه ظواهر متصلة ببعضها وهي امراض خطرة ومؤذية جداً بالجسد العراقي بكل مساحته.

لقطة.. ذهب سويسري ولكن!

حين ابتاعها يوم امس، كان فرحاً جداً لانه قهر منافسه (عليوي) وحصل عليها، ولم يأسف كثيراً لان (عليوي) دفعه بمزايدته المستمرة الى ان يدفع فيها مبلغاً اكبر من المبلغ الذي كان يتوقعه، ذلك ان عيونه كانت ترصد البهجة التي ستغمر روح حبيبته وتطل من عيونها وهي تقلب الساعة (السويسرية الذهبية) الفائقة الجمال التي نافس (عليوي) على شرائها وفاز بالمنافسة، لكنه اليوم عاد الى (الموقع) الذي اشتراها فيه، يبحث عمن باعهاله، ذلك انها توقفت عن الحركة بعد ان وصل الى قريته، ولم يشأ ان يقدمها لخطيبته خشية سخريتها منه، وحين رأى (عليوي) استبشر خيراً فقد ظن انه سيجد البائع ويعيد اليه الساعة العاطلة، والتي لم تكن (سويسرية ولا ذهبية) بل (راسكوب) كما اخبره العارفون في قريته لكنه فوجيء بأن (عليوي) مشتبك في منافسة حامية، الهبت سعر ساعة اخرى تشبه الساعة التي اشتراها بالامس، ولكن البائع مختلف هذه المرة، وبسرعة فهم الخدعة، وتذكر ما كان يسمعه عن (قفاصة الباب الشرقي وساحة التحرير) فاعاد الساعة الى جيبه، وارتسمت على ملامحه كل الخيبة التي تورثها اذرع الاخطبوط المقيت (الغش)، كل من تلتف عليهم، بشاعتها التي لا توصف، وليلتها سمع من يخاطبه في حلم واضح الدلالة.

-لست وحدك من تعرض للخداع، فهناك الكثيرون، تخدعهم (القفاصة) يومياً وفي كل مكان.

فـــايـــروس سريـــع التمـــدد

ليس (الغش) وحيداً، برغم خطورته وشدة اثاره السلبية على جميع مناحي الحياة، ظاهرة يستحيل او يصعب القضاء عليها صعوبة بالغة، لكنه مع (ثقافة الغش) يصبح فعلاً غولاً من الصعب التخلص من فايروساته السريعة التمدد في عموم مفاصل وشرايين أي كيان يتيح له فرصة التوغل في جسده، وبخاصة اذا كان هذا الكيان يعيش حالة البناء من جديد كما هو الحال في الكيان العراقي، فثقافة الغش، ترسخ مفاهيمه واخلاقياته من خلال تبريرها تبريراً منطقياً مقبولاً، وان كان مفتعلاً وخارج سياق المعقولات، وقيم المجتمع الحضارية والانسانية وفي مقدمتها القيم الاخلاقية العامة، والقيم التي يعدها الدين بعض مكملاته.

هكذا تصبح السرقة براعة والتزوير والخداع شطارة وذكاء، وترتدي كل المحرمات الاجتماعية اردية تسمح لها بالرواج كمعطيات تفرضها الحياة اليومية وتقبلها بل تتطلبها ضمن جزر ثقافة الاخلاص والصدق والامانة غير الطبيعي، في حلبة الصراع الابدية بين مفاهيم الخير والشر.

-سأل احد الشبان من آخر جيل انتجه النظام المباد (قبل سقوطه) كان حاضراً احد مجالس وجهاء الحي، صبياً حضر المجلس هو الآخر مع والده.

-كيف هو حالك مع دروسك؟ فاجابه الصبي متباهياً:

-لقد تركنا المدرسة، فهي كما يقول والدي (ماتوكل خبز)

-عظيم.. وماذا تفعل الآن؟

-اشتغل في السوق مع والدي، نحن نتكسب بالبيع والشراء

-وماذا تبيعون؟

❖نشتري ونبيع كافة البضائع ونعمل في تصريف النقود.

-وما هي اخر عملية قمت بها؟

❖(مشيت) شدة مزورة ((خمسة وعشرون الف دينار من دنانير "الطبع" التي كانت مستخدمة ايام النظام المباد))

-(عفية بالشاطر)

قالها الشاب وهو يربت على كتف الصبي وهذه "الشطارة" التي وصف بها الشاب، جريمة الغش التي ارتكبها الصبي، كما هو واضح، ترويج لثقافة الغش، وما ترسخه وتبني عليه من قيم تربوية فاسدة ومنحرفة، وما يتعلمه هذا الصبي في مجال الكبار من هذا النوع، يعده نبراساً ودليلاً يتبعه كل حياته ويبرمج عليه نشاطاته الآنية والمستقبلية دون شعور بالتقصير حتى، (ومن شب على شيء شاب عليه، وذلك هو الانحراف الدائم الذي يصعب تقويمه، ومما يؤسف له، هو غياب الثقافة المضادة لثقافة الغش، وتقصير رموزها ((العائلة، الاقران، المدرسة، المصلحون الاجتماعيون، المفكرون والمثقفون ورجال السياسة)) مما يوفر لثقافة الغش، مناخاً، وحاضنة تحوي كل شروط الرواج والانتشار والقبول، الامر الذي يدعونا ونحن نتبنى السعي لمكافحة ظاهرة الغش في كل الميادين، الى الانتباه بشدة لأهم ينبوع من الينابيع التي تسقي احراش الغش وتضمن ديمومته وانتشار ثقافته.

اضحك مع الغش!!

وهناك (زواغير) كثيرة في مدينة الغش الخاصة بالبطاقة التموينية، يعرفها المواطنون جيداً، ولا يسعنا هنا ايراد (هندستها ومعمارها ودرابينها) جميعاً، ونختم الحديث عن البطاقة التموينية، بحديث المونولوجست الشعبي الكاظمي ملاهادي ،الذي يقول –اضحك مع الغش.. هي فقرة اؤديها في حفلات الاعراس التي قرر المواطنون ان لا يدعوا اليها المطربين والراقصات وغير ذلك، وهي تدور حول اساليب الغش في البطاقة التموينية وضحاياها-

فقلنا له ماذا لو تحدثت عن جوانب الغش الاخرى؟ عندها قال –تكفيني عداوة الحكومة ووكلاء (التغذية)